المصدر: الاهرام
التاريخ : ٤ اغسطس ٢٠٠٢

# جنوب السودان.. إلى أين؟!

**شهدت «ماشاكوس» الكينية فى اللحظات الأخيرة لانتهاء مفاوضات السلام بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية - التى تواصلت على مدى خمسة اسابيع - تطورا مهما، بعد أن كان التشاؤم سيد الموقف.**

جاء هذا التطور المفاجىء نتيجة للضغط الأمريكى الذى مورس على الطرفين وأسفر عما أطلق عليه اتفاق اطار عالج أهم معضلتين هما: علاقة الدين بالدولة، وضمان حق تقرير المصير للجنوبيين، على أن تستأنف المفاوضات فى منتصف اغسطس لاستكمال الصورة التفصيلية بما فى ذلك قسمة السلطة والثروة وآليات وقف اطلاق النار وغيرها من القضايا.

ففى نهار الخميس - (١٨ يوليو)، كانت المفاوضات تواجه شبح الفشل والوسطاء يبحثون - عن مخرج، ومساء السبت (٢٠ يوليو) أعلن عن التوصل إلى اتفاق، فكيف حدث هذا التقدم الدراماتيكى؟. يقول شاهد عيان كان قريبا من اجواء المفاوضات، إنه فى مساء الخميس حضر الجنرال الكينى «سيمبو يويم» إلى مقر المفاوضين وطلب بصورة حاسمة من كل جانب تسمية ممثلين لاجتماع طارىء، عن وفد الحكومة وعن وفد الحركة الشعبية، ولدى دخول الجانبين أغلق الجنرال «سيمبو يويم» الابواب على الوفدين، وقدم اليهما مسودة الاتفاق وامهلهما فترة ساعتين للتوقيع عليه «وأن الذى ينكث بوعده عن التوقيع سيحمله مسئولية فشل المفاوضات، وعليه تحمل النتائج»، واحتج الطرفان فى البدء قبل مطالعة المسودة على اسلوب الجنرال الكينى، وعلى حد تعبير شاهد العيان المتابع، انه «يسوقهم سوقا إلى ميادين السلام لا الحرب».

احتوت المسودة على مقترح يتضمن الانفصال كأحد الخيارات الممكنة لنتائج استفتاء لمواطنى الجنوب يجرى بعد ست سنوات، وتأكيد نظام الحكم الفيدرالى، وتثبيت الشريعة مع استثناء الجنوب والعمل معا فى الفترة الانتقالية من أجل الوحدة والابقاء على ولايات الجنوب كما هى، مع مجلس تنسيق للجنوب بصلاحيات موسعة ووضع دستور مستمد من الدستور الفيدرالى.

وفى القصر الرئاسي وقف الرئيس الكينى «أراب موى» سعيداً وسط الجميع، وقد اوشك أن يحظى بلقب رجل السلام لحرب دامت نحو نصف قرن فى جنوب السودان راح ضحيتها أكثر من مليونى شخص وأربعة ملايين مشرد.

عمليا فقد افضت المفاوضات إلى اقامة ثلاثة كيانات سودانية وهى حكومة فى الشمال وأخرى فى الجنوب بالاضافة إلى الكيان المركزى. أما الاستفتاء المعروض على الشعب السودانى فى الجنوب فإنه يطرح خيار الحكم الذاتى، كما قد يذهب إلى حد طرح الانفصال النهائى عن الشمال فى آخر المطاف.

وبذا فإن هذا الاتفاق يكون قد تجاوز المبادرة المصرية - الليبية (اغسطس ١٩٩٩) ولم يأخذ فى الاعتبار مصالح الدولتين العربيتين وأمنهما القومى، خاصة أن حق تقرير المصير قد يفضى إلى انفصال الجنوب عن الشمال

●●●

لم يبالغوا الذين كتبوا التقارير مشبهين السودان فيها بالولايات المتحدة الأمريكية من حيث (تعدد المناخات والأعراق واللغات والمساحات الشاسعة والأنهار المتدفقة وأخيرا النفط). كل من يقف على الدراسات الجيولوجية والاحصاءات الانمائية يعرف الكنوز الثمينة التى يعيش فوقها شعب السودان وتؤخره الحرب من الحصول عليها.. فالناس لا يعرفون عن السودان إلا الزراعة، حيث توجد مساحة صالحة للزراعة وعالية الخصوبة لا تقل عن ١٠٠ مليون فدان تتوافر لها مياه الأنهار والأمطار (مساحات الأراضى الصالحة بالاضافة إلى الغابات والمراعى الطبيعية ٢٥٠ مليون فدان) وبأكثر مما يقال عن الزراعة يمكن أن يقال عن كنوز الأرض المعدنية من بترول وحقول المعادن الأخرى.. ومن بعد الاستكشافات التى تمت عام ١٩٧٥ - فى الجنوب - فإن العمل قد جمدته شركة «شيفرون» الأمريكية بسبب أعمال التمرد، ثم بدأت مجددا فى الاستكشافات عام ١٩٩٧، وفى نهاية نفس العام بدأت الحكومة فى بناء أطول أنبوب بترول فى العالم (١٦٠٠ كلم).. وبالفعل بدأ استغلال النفط بطاقة ألف برميل يوميا ثم ارتفع إلى ٢٥٠ الفا ومرشح لأن يصل إلى نصف المليون برميل يوميا.. هذا هو المستغل الآن، وهو فقط فى بداية الطريق. وتعليقا على ذلك قال مبعوث الولايات المتحدة الخاص بالسودان السيناتور جون دانفورث فى سويسرا إن نجاح محادثات السلام فى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

نيروبى سيحول السودان من منطقة نزاع إلى مصدر رئيسى للنفط.

●●●

بدأت حدود السودان الجنوبية تأخذ شكلها الحالى فى أواخر عام ١٩١٣ بعد مجموعة اتفاقات بين بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، حيث اعتبر خط عرض ١٠ شمالا هو الخط الفاصل بين الجنوب والشمال، وهو خط جغرافى صنعته التضاريس ولم تصنعه الاثنية، حيث إن قبائل عربية كانت تعيش إلى الجنوب من هذا الخط، وقبائل زنجية كانت تتقدمه شمالا. وبذا نجد أن هذا الإقليم يتوسط القارة الافريقية ولا يصل إلى أى من شطآنها وتبلغ مساحته ٢٥٠ الف كم مربع، أى نحو ربع مساحة السودان. لكنه أكثر المناطق مطرا (وصل أحيانا إلى ١٥٠ سم) ويخترقه النيل الأبيض وبه أحواض نهر الغزال والسوباط الأدنى (يمد النيل بأكثر من ١٣ مليار متر مكعب سنويا أى نحو ١٤٪ من ايراده الكلى) وبحر الجبل، واجمالى ما يصل مصر من ماء الجنوب وحده، يصل إلى ٢٤ مليار متر مكعب من ٥٢ مليارا، هى كل حصة مصر من النيل التى تقل عن حاجتها الفعلية بـ ٢٤ مليارا.

يبلغ عدد سكان الجنوب نحو ٧ ملايين نسمة منهم ٦٥٪ وثنيون و١٨٪ مسلمون و١٧٪ مسيحيون، وهم جميعا يتحدثون ١٢ لغة بـ ٢٥٠ لهجة، لكن اللغة العربية هى الأكثر انتشارا برغم الحظر الذى فرضه الانجليز على استعمالها.

وتبدأ مشكلة الجنوب منذ أن جثم الاحتلال الانجليزى على أرض السودان وتعمده محاربة الإسلام فى جنوبه ومحاربة اللغة العربية وإحلال الانجليزية محلها.

فقد اكتمل فتح السودان عام ١٨٩٨ من قبل الانجليز والمصريين، اللذين اصطدم جيشهما المتقدم جنوبا بالوجود الفرنسى فى مدينة «كذوك» ولكن سرعان ما انسحب الأخير، وبدأت النظرة للجنوب على أنه الأرض التى يجرى عليها النيل الأبيض الذى يعتمد عليه كشريان للحياة لكل من السودان ومصر. وفى عام ١٩٠٠ بدأت إدارة الحكم الثنائى فى توطيد دعائمها بالاقليم الجنوبى، فأنشئت الحاميات تحت اشراف الضباط الانجليز، لكن القبائل فى الجنوب شقت عصا الطاعة على المستعمر حتى عام ١٩٣٠ حين اخضعت آخر قبيلة متمردة (النوير)، وفيما بين العامين تعطلت عجلة التطور والتنمية، بعكس ما حدث فى الشمال، فبدأت الهوة تتسع فيما بين قطبى القطر الواحد.

وفى عام ١٩٢٢ أصدر الانجليز قانونا سموه قانون المناطق المقفولة يمنع بموجبه مواطن الشمال من السفر إلى الجنوب!!. وشيئا فشيئا تم تكريس الفصل بين ثقافتى الشعبين. هذه السياسات عبر عنها «روبرتسون» (السكرتير الادارى لحكومة السودان) بالقول: «إن سياستنا ترمى إلى اقامة حكم ذاتى محلى فى الجنوب، منفصل ومستقل عن الشمال». كما أن الجنوبيين الفقراء كانوا قد امتلأوا حقدا على الشمال الغنى، فاندلعت الحرب لأول مرة عام ١٩٥٥!

ولم يغادر الانجليز (١٩٥٦) إلا بعد أن زرعوا الفتنة تماما..

إن الزعم بأنه بعد ٦ سنوات سيصوت الجنوبيون للوحدة هو محض خيال، لأن الحكم الذاتى الممنوح فى تلك الفترة والدستور الخاص و القوانين الخاصة، ما هى الا انفصال واقع لن يأتيه الاستفتاء إلا بشهادة ميلاد رسمية. كما أن الأمريكى ذا القدم الثقيلة الموجود حول منابع النفط، لن يكون سعيدا ولا مرحبا بعودة تلك المناطق الغنية لسيادة حكومة إسلامية ذات توجهات راديكالية ومصدر لصداع مزمن. أما الادعاء بأنه من مصلحة الجنوبيين، الوحدة، حتى يضمنوا مرفأ لتصدير بترولهم (بورسودان)، فذاك أيضا محض خيال.. فكم من الدول الداخلية لا تعلم مخرجا للبحار، ثم أن إثيوبيا جاهزة، هذا غير أن الشماليين انفسهم سوف يسعون جاهدين لتمرير بترول الجنوب من أراضيهم للحصول على رسوم النقل والشحن على الأقل.

إذن فالانفصال قادم لا محالة، وحديقة بيتنا الخلفية قد ترتع فيها الثعابين يوما. فماذا أعدت مصر لمثل هذا اليوم؟!

**د. هشام الحديدى**

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية